



الرؤية التعليمية والتربوية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي - من خلال مقالاته -

The educational and pedagogical opinion of Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi's - Through his articles -

كلثوم زاوي *

وحدة البحث في علوم اللسان
المجمع الجزائري للغة العربية (الجزائر)
zaoui.khaltoum@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/07/15

تاريخ القبول: 2024/03/14

تاريخ الاستلام: 2024/02/18

ملخص:

من منطلق أنّ التعليم والتربية هما الوسيلة الأمثل لتقدّم وتطوّر الأمم قاطبة، عملت الجزائر على تأسيسها وتنظيمها استكمالاً لمسيرة إصلاحية كان قد بدأها علماء جزائريون حرصوا عليها أيّما حرص، ومنهم المفكر والمصلح الإمام محمد البشير الإبراهيمي، فقد كان مرجعاً في العناية بالقضايا الاجتماعية والدينية والتربوية والنفسية، وقاد نهضة من التغيير والتحسين من خلال تفكيره الأمثل في الإخلاص للمصلحة العامة والتفاني في النصّح وذلك ما نلمسه في مقالاته؛ في هذا السياق، تعالج ورقتنا البحثية موضوع الجهود الإصلاحية في التعليم والتربية لفكر الشيخ الإبراهيمي ومدى ملاءمتها للمفاهيم والتوجهات التعليمية الحديثة، وهذا من خلال المنهج التحليلي في قراءة أسس التفكير التربوي والتعليمي عند الشيخ، وقد توصلت الباحثة إلى أنّ صوت الشيخ الإبراهيمي التربوي والتعليمي كان جامعاً بين إصلاح الفرد ونمذجة تفكيره، وحثّه على العلم والتعلّم باعتماد طرق غير تقليدية؛ بمنهج يجمع بين الدين واللغة والثقافة، طامحاً إلى تخريج جيل جديد من أبناء الجزائر يكون أجيالاً لاحقة؛ وكانت عنايته متوافقة مع ما دعت له مفاهيم التعليمية في منظورها للمثلث التعليمي؛ المعلم، المتعلم، ووسائل التعلّم ومنهجه. ولقد تبين أنه تمكّن من بلورة فكر تربوي ناجح من خلال مشروع ناضج ودليله ما أنجز في أيام الثورة التحريرية. الكلمات المفتاحية: الفكر الإصلاحي؛ التعليم؛ التعليمية؛ التربية، محمد البشير الإبراهيمي.

Abstract

Based on the principle that education and pedagogy are the best means of progress and development of all nations, Algeria worked on its establishment and its organization which is

* المؤلف المراسل.

part of the continuity of the reform process that had been initiated by Algerian academics. Among them is the thinker and reformer Professor Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi. He was a reference in the management of social issues, religious and educational. He has led a renaissance of change and betterment through his optimal thinking in dedication to public interest, and counsel is what we see in his articles. In this context, our research dissertation addresses the issue of Al' imam Ibrahimi's thought reform efforts and their adequacy with modern pedagogical concepts and trends. This goes through the analytical approach in reading the foundations of the teacher's pedagogical thought. We concluded that the educational and educational voice of the expert teacher Ibrahimi was a combination of reforming the individual and modeling his thinking and urged him to learn by adopting unconventional methods. With a curriculum that combines religion language and culture, aspiring to graduate a new generation of Algerians who will serves as future generations. His attention was consistent with what educational concepts called in the perspective of the teacher educational triangle; the learner the means and the method. It has become clear that he was able to formulate a successful educational thought through a mature project. The evidence is what was accomplished during the days of the Algerian liberation revolution.

Keywords : reformist thought ,education, teaching, pedagogic, Muhammad al-Bashir al-Ibrahim

1. مقدمة:

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أحد أعلام وعلماء جمعية العلماء المسلمين الإصلاحية، وقد عيّن بعد وفاة الشيخ عبد ابن باديس سنة 1940 رئيساً للجمعية باعتباره مؤهلاً للقيادة؛ فهو صادق الوطنية، صحيح الإدراك والتصور، وكان جهاده يصبّ في النهضة بالتعليم والدّين والقيم الاجتماعية، هادفاً إلى ترشيد الأمة الجزائرية من خلال تعزيز الروابط بين الركائز الثلاثة في التعليم؛ إذ على أساسها تقوم الأمة، وتحرّر من الجهل والاستعمار، وقد برز نشاطه في التعليم برسم أهدافه وغاياتها حتى وإن اختلفت أنماطه، مع العمل على تهيئة الجانب المادي في التعليم موازاة مع الجانب النفسي والتربوي والأخلاقي للمعلم والمتعلم اللذان هما على رأس التعليم؛ فهما تقوم ثورة العلم، وتبنى حضارة الأمة.

أراد الشيخ بفكره الإصلاحي التعليمي التربوي أن تكون الجزائر في وضع مماثل للأمم، تحافظ على هويتها ووطنها ولغتها واستقلاليتها، فبخبرته وتجاربه، رسم منهجية التعليم من الكتاب إلى المعلم، وبرامجه قدم أرضية لتربية جيل واع بقضايا أمته، وذلك مع تحريك الطاقات في مواصلة العلم ومعالجة قضايا العلمية والاجتماعية، وتشجيع ما يقدّمه البيت والمدرسة والمسجد؛ والتي هي عناصر فاعله لنشء جديد، يبني مستقبله وبلاده لاحقاً.

نعرض من خلال هذه الورقة مراحل النهضة التعليمية وأنماط التعليم التي سادت في عهد محمد البشير الإبراهيمي، ثمّ المناهج والبرامج ومحاوَر العملية التعليمية من معلم ومتعلم ووسائلها مقارنة بالتعليمية الحديثة، كما نعرض أهمّ مواقفه والقضايا التي عالجها في هذه النهضة التعليمية، لذلك يتسنى لنا طرح الإشكالات الآتية:

ما دعائم الإصلاح التعليمي في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؟ وما الأسس التربوية والتعليمية التي جاء بها؟ وما مدى ملائمة هذه الأسس لمفاهيم التعليمية الحديثة في المثلث التعليمي؟
ومنهج هذه الورقة البحثية يجمع بين الوصف في نقل بعض المراكز النظرية لفكر الإبراهيمي وبين المنهج التحليلي في قراءة ومقارنة الأسس التعليمية عند الشيخ مع ما تدعو إليه المفاهيم التعليمية الحديثة من العناية بالمثلث التعليمي. ويمكن معالجة كل ذلك وضبطه في محاور مرتبة على النحو الآتي:

2. مراحل تنظيم وضع التعليم:

عمل الاستعمار بعد بسط نفوذه على الجزائر على محاربة اللغة العربية، من منطلق أن القضاء على اللغة العربية هو قضاء على الثقافة العربية والشخصية الجزائرية بسهولة ويسر، ولذا قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال روادها وأشهرهم البشير الإبراهيمي على نهضة تعليمية وثورة تعليمية مرت بثلاث مراحل لمدة تصل إلى أكثر من عشرة سنوات نذكرها¹:

1.2. المرحلة الأولى (1931-1940):

بدأت المرحلة بتوعية الشعب بالتعليم والتعلم، وهذه المرحلة أنشأت فيها حوالي 70 مدرسة ضمت حوالي 70 ألف طفل وفتاة، ومن أشهرها مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة، ومدرسة تهذيب البنين بتبسة، كل عمل فيها على تربية النشء لتعليمه على الحق والفضائل، واللسان العربي، والفكر على التأمل والإدراك علما وعملا، وتربية العقول على العقائد الصحيحة في الدين والدنيا لإعداد جيل يفهم حقائق الدين والدنيا معا، وقد اعتمد في اختيار المعلمين لهذا الجيل على خريجي المعاهد الإسلامية الكبرى (الأزهر والزيتونة، والقرويين والجامع الأخضر)، وما نجمه أن هذه المرحلة هي مرحلة دفاع ضد الجهل والاستعمار وحراسة لهوية الأمة الجزائرية، كما يعدّ هذا الطور طور هدم من المستعمر وإنقاض النفوس المحطمة ورفع همتها عن طريق القرآن الكريم واللغة العربية.

2.2. المرحلة الثانية (1940-1946):

وهي مرحلة مكرسة للتعليم والنهوض به، وهي فترة فتحت فيها عشرات المدارس، ففتحت 73 مدرسة، وكان هذا الطور هو الرابع الأكبر في بناء المدارس وإعلانها رغم أن هذه الفترة تخللتها نكسة الحرب-أحداث 8 ماي- وتعطيل التعليم لسنوات فيها، ويعدّ هذا الطور طور بناء وتشيد، وقد بعث بالتعليم الحر بشكل أوسع: طور بناء العقول والنفوس بمراد العلم والحكمة والفضيلة؛ وطور تشييد الحياة الفاضلة الحافلة بالسعادة والمبينة على المثل العليا كالرجولة والبطولة والنبوغ، وفي هذه المرحلة شكل البشير الإبراهيمي نقابة مدافعة ومعالجة لقضايا التعليم من معلمين وتلامذة بالقسم الابتدائي.

1- ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، التقرير الأدبي، الآثار، ج 2، صص 333-334، وينظر: محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ع 172-173.

3.2. المرحلة الثالثة (1946-1956):

وهي مرحلة تجهيزية؛ حيث وصل فيها عدد المدارس حوالي 175 مدرسة، تمّ فيها انتقاء المعلمين على أساس شهادة التحصيل الزيتونية متبعة بامتحان يحتوي على إلقاء درس وموضوع إنشائي وسؤال تربوي، حتى بلغ عددهم في سنة 1951 إلى 275 معلما ومعلمة و 36.286 تلميذا وتلميذة. وهي مرحلة جمعت بين الإصلاح العلمي والتعليمي في آن واحد، مرحلة اتسمت بالنظام والحزم والتصميم، والترامي إلى الكمال وإلى هدف واحد، وهو جمع القوى المتفرقة، وهي مرحلة الاجتماعات التي تكوّن التقارير عن أحوال أعمال الجمعية في شتى أعمالها عن طريق تكثيف مؤتمرات في قسنطينة للاطلاع على نتائج المدارس والمعاهد، وكذا عن طريق ملتقيات في العاصمة بين جميع أعضاء الجمعية وبقيّة أعضاء الجمعيات المحلية، وتقديم المحاضرات الهادفة إلى تبادل الآراء وتدافع الأفكار، والاستفاضة في المباحث عن أصول التربية والتعليم وأقوّم الطرائق فيها، وعن الأساليب والكتب قصد توحيد التعليم، ومنه إلى توحيد النشء.

3. أنماط التعليم ودور الشيخ الإبراهيمي فيه:

1.3. التعليم المدرسي:

يمثله التعليم الابتدائي، وقد لقي هذا التعليم حظا وافرا في سياسة الجمعية، فقبل بناء المدارس، بدأ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بحملة، وهي الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار في البيوت والأماكن ربحا للوقت قبل بناء المدارس، وكان من أبرز المشيدين لـ 400 مدرسة ابتدائية في مدن القطر الجزائري وقراه¹؛ وكان دفاعه عنها أن تُترك المدارس حرة غير تابعة للمدارس الابتدائية الفرنسية، وقد بلغت أكثرها إلى المئات حتى بلغ عدد معلمها 1000 معلم، وجُهزت لها ميزانية تقدر بـ 100 مليون فرنك وزيادة إلى نهايته سنة 1952م، ملتزما بمبدأ وهو أنّ التعليم الابتدائي هو مفتاح العلم، وتعميمه هو رفع للأمية وتضييقها². ويمكن أن نذكر من هذه المدارس المناهضة التي انتشرت على أرجاء الوطن أيان الثورة التحريرية ومثاله مدارس التربية والتعليم بالرمشي (1943) وبمغنية (1943) وسبدو (1954)، بالغزوات (1945) وأولاد تيمون (1944)، الآداب والحنايا (1948)، وأولاد سيدي الحاج ودار القرآن بعين عزابة (1949)، وأولاد سيدي خالد (1953) وأولاد عدو (1954) وهذه المدارس فيا ما أغلق وحرّق من قبل السلطات الاستعمارية³، وفيها ما فرض عليه رقابة عليها وتمثيلها للإدارة الفرنسية، كما واجهت حركة اعتقالات للمعلمين وعلمائها ومنا إلى قتلهم ونفهم، ولكن جمعية العلماء لم تستسلم خلال هذه الفترة الحساسة من تاريخ الجزائر فقد

1 - هذا العدد من المدارس غير مضبوط ويمكن النظر إلى: أحمد توفيق المدني (هذه هي الجزائر)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، دت، ص 120.

2 - ينظر البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ع 172-173، ص 339-340.

3 - ينظر: عمر جمال الدين دحماني، الحركة الإصلاحية داخل المدارس التعليمية العربية الفرنسية (36-52)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية والمتوسطية (قسم العلوم الانسانية)، جامعة سيدي بلعباس، ع 2، شتاء 2015، صص 245-248.

زادت جهودها ونشاطاتها التعليمية والدينية والتربوية في توعية الشعب الجزائري للعلم والدين والوطن وتخليصه من أغلال المستعمر الفرنسي.

2.3. التعليم المسجدي:

يجمع هذا التعليم بين التعليم الابتدائي والتعليم المكتبي، ويعدّ ضروريا للأمة الإسلامية في حياتها الدينية، فهذا التعليم يسعى إلى تنشئة موظفي المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيمين...، وهذا التعليم كان متناسقا مع برامج التعليم الابتدائي مثل ما كان في جامع الزيتونة بتونس مع اعتبار للشهادة؛ وهذا التعليم يخفف المسافة دون الترحال إلى تونس ولا إلى غيرها، حيث كان الهدف منه العمل على إلحاق الطلبة إلى التعليم الثانوي بجامع الزيتونة قبل بناء المعاهد في الجزائر، وكان هذا التعليم قائما على الوعظ والإرشاد، وتعليم القرآن ودروس في تفسيره، وشرح للسنة النبوية وسير الصحابة وهديهم، وكان أسلوب هذا التعليم هو العناية بالمعنى، وتجليته للسامعين والإعراض عن الخلافات المشوشة عن صورة المعنى المقصود¹، ومن برامجه أيضا إلقاء الدروس الدينية والمحاضرات التي تهدف إلى إعداد طلبة الجزائر لتحمل مسؤولية وطنهم، فمن برامجه تعليم المحفوظات العربية والأناشيد الوطنية التي من شأنها أن تقوي الحماس في صدورهم ضد المحتل، وتقوي صلهم بعروبهم وتاريخ بلادهم، والتي كانت تنشد في المناسبات الاجتماعية والدينية، مما تبعث فيهم وفي غيرهم روح الوطنية والتضامن الإسلامي والحرية²؛ وموازية لهذا التعليم عمل البشير الإبراهيمي على تجهيز معهد قسنطينة من الناحية الهيكلية في تكوين هيئة تدريس متكاملة، وجعله قطبا للتعليم الثانوي في الجزائر، وبعد بناء معهد قسنطينة عمل على مواصلة التعليم المسجدي وإحيائه³.

3.3. التعليم المعهدي:

هذا التعليم متمم للتعليم الابتدائي والأهلي، ولأن الإقبال على هذه المدارس العربية كان متزايدا، احتاج إلى تكملة تعليم آخر وهو التعليم الثانوي، وإلا أصبح هذا التعليم عقيما إن لم تكن وراءه درجات، وعليه عجل البشير الإبراهيمي التفكير في بناء المعاهد التي تمثل نواة التعليم الأهلي والثانوي لسد بعض حاجات المتعلمين؛ وأول بناء معهد كان معهد ابن باديس أو المعهد الباديبي في قسنطينة سنة 1947، وهو ميلاد للنهضة الدينية والعلمية في الجزائر آن ذاك، حيث حظى بالتبعية العلمية لجامع الزيتونة بتونس، فهو عبارة عن قنطرة يمرّ منها أبناء الأمة من مرحلة التعليم الابتدائي إلى التعليم الثانوي، وهو تقصير

1- ينظر: البشير الإبراهيمي، فلسفة الإصلاح الديني، الآثار، ج1، ص128.

2- ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص400.

3- ينظر: البشير الإبراهيمي، التقرير الأدبي، الآثار، ج2، صص335-336. وينظر: البشير الإبراهيمي، البصائر، ع65.

للمسافة على أبناء الجزائر من الجيل الجديد، وتقليل للجهد والنصب حتى لا يبقوا مشتتين في الأراضي العربية لتلقي علومهم وإتمام تعليمهم ولرسم غاياتهم¹.

وكان هذا التعليم المعهدي إثبات أنّ الجزائر قادرة على تكوين متعلمين وتخريجهم، وغرس القيم الدينية والأخلاقية فيهم وشحذ هممهم، وهو نتيجة طبيعية لنهضة التعليم الابتدائي إذا لم تقف العوائق في طريقه؛ حيث اعتبره الإبراهيمي أمانة الله بننا وبين الأمة وعهد العروبة والإسلام في عنقهم وواجب العلم عليهم فيه، فقد استقطب هذا المعهد سنة 1955: من المدرسين 12 مدرسا وأكثر وهم يعدون من علمائها، و913 طالبا وطالبة، ومن طلابه من حظي ببعثات طلابية إلى جامعات الشرق لنيل شهادة العالمية، وصلت هذه البعثات إلى تكوين 109 طالبا بعد اندلاع الثورة، وذلك لتعويض المعاهد والمدارس المعطلة وإعداد إطارات المستقبل؛ فهذا المعهد هو المرجع والمكمل للمدارس الابتدائية؛ بحيث تقدم إليه الأمة أبناءها أطفالا، وتتقاضهم منه رجالا حتى اتسع إلى بناء فروع وقواسم ليكمل به، ولقد شبهه الإبراهيمي آن ذاك بالأزهر أو أزهر الجزائر²؛ ومن المعاهد الأخرى التابعة له دار الحديث في تلمسان و في الجزائر نجد دار العلماء ودار للمعلمين وأخرى للمعلمات، وقد تمّ تجهيز كل منها بعمال وتزويدها بمال حتى يؤوي كل واحد منها ألف 1000 طالب حتى تكافئ في النتائج للطلاب بين مختلف أقطار الوطن، وهذا يدل على أن التعليم المعهدي يعدّ ضرورة لحياة مجتمع يسعى إلى استكمال تعليميه الابتدائي والأهلي آن ذاك، وينم عن جدية التخطيط التعليمي ومدى همّة الإمام الإبراهيمي في مواصلة مسيرة كفاحه في التعليم ونتائجه الغرة والفاضلة على الأمة الجزائرية³؛ ولقد كان لهذا المعهد مساهمة كبيرة في بلورة الحركة الأدبية والفكرية وصقل الثقافة العربية وإحيائها في الجزائر آن ذاك.

ولقد كان تمويل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لهذه الأنماط من التعليم يعتمد على أموال الزكاة من الأغنياء، مع تشديد الحرص على دعم هذه الحركة التعليمية؛ فقد كان الإبراهيمي يوجّه في كثير من الأحيان بالعتاب على أصحاب المال باستخراج المستحق عليهم، مؤكدا على شرائح عمال كثر وإلزامهم بالإنفاق على هذه المدارس، وطلب الإعانة منهم لسدّ حاجات الطلبة في مرافقه، وتتمّة بناء المعاهد من المعهد الباديبي في قسنطينة وغيره، لتخرج هذه الأمة مما فيه من استعمار⁴.

وتكملة لهذه الجهود، أسند لهذه الأنماط من التعليم نشاط التعليم عن طريق النوادي والصحافة الذين ساهما بشكل كبير في زيادة الوعي بالقضية الوطنية، كما يعدّ قيام الإبراهيمي على هذه الأنماط

1- ينظر: البشير الإبراهيمي، المعهد الباديبي، الآثار، ج3، ص245-247، وينظر: ج2، صص280-282.

2- ينظر: المرجع السابق، ص338.

3- ينظر: البشير الإبراهيمي، المعهد الباديبي، الآثار، ج3، ص245-247، وينظر: ج2، صص280-282.

4- البشير الإبراهيمي، قادة الجيل الجديد في ميادين العلم، الآثار، ج3، ص264.

التعليمية ذا هدف جامع، وهو أن تسترجع الهوية الوطنية والمحافظة عليها عن طريق جيل متعلم عالم بمهمته أتجاه وطنه وأمته، وقد أحسن في اتباع هذا المنهج حينها.

وما يمكن ان نقوله في هذه الأصناف من التعليم أنه قد تمّ تبني توجهاتها بعد الاستقلال بخضوعه للإدارة الجزائرية وذلك بهدف ضمان سير التعليم بالمدارس القائمة مع الحرص على استغلال كل طاقاتها من أجل فرص التعلم لأكبر عدد ممكن من الأطفال، مع التعديلات البسيطة في هذه التوجهات الساعية إلى ترسيم تعليم اللغة العربية والدين الاسلامي في مناهج التعليم والعناية بمادة التاريخ وتصحيح مسار هذه المادة،¹.

4. الاهتمام بالمثلث التعليمي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

ما نلتمسه حديثا في اللسانيات التعليمية أنّ عملية التعليم تقوم على ربط ثلاث عناصر المعلم والمتعلم والمناهج والمقررات أو البرامج، رغم أنّه لم يتعرف إلى هذه النظريات في اكتساب المعرفة واللغة والعلوم كالنظرية السلوكية والنفسية في التربية، لكن كان همّ الإبراهيمي رسم عملية تعلّم سهلة لمتعلمي الابتدائي، وربطها باللغة العربية والهوية الوطنية والتربية والأخلاق، ونعرض لكل منها كالآتي:

1.4. المعلم:

يعتبر المعلم هو الركيزة الأساسية في العملية التعليمية والمهمة في المجتمع، وفيه يعرف الشيخ الإبراهيمي: "نعني بالمعلمين هم الطائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمة لغتهم، ومن عقائد وقواعد دينهم وطبعهم على قالب من آدابه وأخلاقه ... ونعني بهم الطائفة الصابرة على المكاره المحرومة من الراحة والاطمئنان في جميع أوقاتها؛ فهي في الشتاء تشقى وتتعب، وفي الصيف تضحي وتنصب، وفيما بين ذلك تكابد وتعاني على ضيق من العيش وتنكر من الدّهر"²، وكان وضع هذه الفئة في فترة محمد البشير الإبراهيمي بين التّهديم والتّحطيم وبين رفع الأنقاض بين البناء والتّعمير في آن واحد، وعليه عمل على وضع رعاية خاصة للمعلمين تكتمل في ثلاث جوانب: توفير الجانب المادي المعيشي، والعناية بالاستعداد النفسي، والتكوين بكفاءة اتجاه المتعلمين، ويمكن التّطرق إلى ما عالجته في هذه النقاط على النحو الآتي:

أ- العناية بالوضع المادي وتحسين الوضع الاجتماعي:

ناشد البشير الإبراهيمي بتوفير حقوق المعلمين الاجتماعية المالية، وقد ضمن إصلاحه بتحقيق الميزانية لضمان مرتباتهم مستعينا بموارد الأغنياء، ومن آباء التلاميذ الميسري الحال قبل أن يطالبوا بها مسؤوليهم، وهو ما جعله يتأسف على التقصير في أحيان، وفي ذلك يقول: "لو كان هناك مدد ثابت من الأغنياء وحق الله في أموالهم، لكان لهم حصة لرفع ما يحتاجونه، ولكن فئة الأغنياء لم تسقط منهم العشرة وفيهم الشُّح، فبقيت موارد المدرسة محدودة مقترّة، وإذا فشلت الجمعية والجمعيات المحلية في ابتكار موارد

1 ينظر: فضيل عبد القادر، المدرسة في الجزائر -حقائق واشكالات-، دار جسر، ط2، 2013، ص32.

2- البشير الإبراهيمي، حقوق المعلمين الأحرار على الأمة، الآثار، ج2، ص306.

أخرى للمال أصيب المعلمون بالخيبة والفشل وأصبحت النهضة العلمية بالخمود أو التراجع...، فإن لم تبذل الجمعية المجهود اللازم لتخفيف البلاء، وتهوين الغلاء عليهم بالزيادة في المرتبات، فالعاقبة تكون وخيمة"¹، وتصريحه هذا كان يعدّ عن مخافة فشل عزمهم من مواصلة تعليم التلاميذ حق الإلتقان؛ حيث يقول في ذلك: "أخشى أن يعلموا الأبناء بلا قلوب ولا عقول في وقت أحوج ما يكون إلى صلة القلوب بالقلوب وتأثر العقول بالعقول، واستفتاء الأرواح من الأرواح؛ فإذا حصل ذلك جاء التعليم وفيه أثر الجوع والهزال والفقر والخصاصة، ولذا يتوجب توفير أرزاق المعلمين حتى لا تطمع نفوسهم إلى هجر التعليم... ليتوفر لنا مال نرفع به مرتبات المعلمين، ونرفع به أقدار العلم والتعليم"²، ومن عنايته وسهره على راحة المعلمين عمل على سد النقص الذي في مأواهم وهو المسكن، ففي نظره أنّ هذه الطائفة عماد وعصب الجمعية التي من وظائفها الأساسية التربية والتعليم، ويعبر عن ذلك في قوله: "لم يبق إلا مشكلة المشاكل وهي إيجاد المساكن للمعلمين، وسنعالجها بما تسعه الطاقة... فعلى الأمة أن تهتم بهذه الناحية، وأن تجعلها في محل العناية وإلا فسيأتي يوم تتعطل فيه كثير من المدارس بهذا السبب... ويومئذ تتحمل الأمة تبعه ذلك، وتتجرّع مرارة ذلك"³؛ وفي هذا له أثر يمثله "السكن الوظيفي" على الواقع إلى زمننا هذا من السبعينات إلى اليوم على مختلف مراحل التعليم، كما أنّ فكره في العناية بمرتبات المعلم له مناشدة سابقة أوانه مماثلة في الدول المتطورة اليوم مثل اليابان وبلجيكا وغيرها.

ب- الاهتمام بالجانب الخلقي والنفسي في شخصية المعلمين:

كان البشير مشيدا بأعمال المعلمين في المدارس، لكن ما يزال يحض على أن يكون كل معلم بطل الميدان مرابطا قد وقف نفسه للتعليم، وحثهم بالقيام بواجباتهم وهي مسؤولية، كما حرصهم على تكوين التربية قبل التعليم: "فالمعلم يربي النفوس ويلزمهم بالدين ويعرفهم حقائقه ويهذب لسانهم بالنغمات العربي، ويغذي أذهانهم بأسرار العربية، ويروضهم على الاستعداد للحياة الشريفة، والتعريف بتاريخهم ومواطن القدوة الصالحة من سلفهم"⁴، كما حثهم على الالتزام بالأخلاق، فأخلاق المعلمين مرآة للعامة، فهم ممثلو الجمعية في التربية والتعليم؛ وصورتها المصغرة في نظر الأمة، ويدعوهم إلى الرباط لمواجهة الثقافة الغربية الموجهة إلى الإلحاد، وتأثيرها على المجتمع الجزائري، وهي من غايات المستعمر، وحذرهم الظهور بمظهر المستخف بالدين ولو في فلتات اللسان؛ فهي تؤثر في النفوس، وهم محل القدوة؛ لأنّ زمنهم فيه انحلال الأخلاق بسبب الاسترسال في الشهوات التي ترجع إلى الاستعمار، فطلب منهم بتقويم العزائم والإرادات فيهم...، وحثهم على التمسك بالقيم ومبادئ واجتناب التحزب؛ فهي تهاجم على الخير والعلم

1- ينظر: المرجع السابق، ص 308-309.

2- المرجع السابق، ص 309.

3- البشير الإبراهيمي، قادة الجيل الجديد في ميادين العلم، الآثار، ج 3، ص 144.

4- محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الشهاب، ج 7، ص 396.

وتفرق ولا تجمع¹؛ كما دعاهم للتثقيف بالتوسع في المطالعة لتحسين معارفهم، ودعاهم كمعلمين فيما بينهم إلى التآخي والتعاون على الخير²، ومن كل ذلك ينبئ أنّ البشير الإبراهيمي يطالب بحقوق المعلمين مع تحفيزهم على أداء واجباتهم ليكون الأمر على وفاق دون نقص وإغفال، وهو منظور لا يزال قائماً في مدراسنا اليوم وأهم شيء فيه مواصلة التثقيف عن طريق المطالعة للكتب العلمية التربوية والتربوية والنفسية، وإقامة الندوات التربوية التي يقوم بها المفتشون اليوم، كما يكون المعلمين على إطلاع دائم بما جد في اللسانيات التعليمية أو تعليم اللغات فهو أمر ضروري للتميز في الأداء التعليمي للمعلمين. وهو ما التمسناه في سيا تحدثه عن هذا الموضوع قائلاً: "فضلاً عن أخلاق المعلم وتربيته أن يكون له حذق وكفاءة علمية في الاقناع مع استعمال الأسلوب العلمي والكلامي المتاح كالتركيز على البيان العربي والتذكير بأمجاد الأمة العربية والإسلامية المجيدة ونحوها"³.

ج- إلزام المعلمين بعناية المتعلمين تربية وعلمًا:

مثل البشير الإبراهيمي المعلمين بالجنود والجيش؛ لأنهم حراس مجد الأمة وحفاظ أمانته، وقيم الأمة بسداد الرأي وسداد الإرادات، وسداد العلم، فهم رجال منسبون دائماً إلى جمعية العلماء، يقول في ذلك: "أنتم حراس هذا الجيل الجديد والمؤتمنون عليه والقوامون على بنائه، وأنتم بناء عقولهم ونفوسه، فأبنوا عقوله على أساس من الحقيقة، وابنوا عقوله على صخرة من الفضائل الإنسانية، وأشربوه عرفاناً قيمتها، فإن من لم يعرف قيمة الثمين أضاعه، وقد غنيت هذه القيم في عصركم، فكان ما ترون من فوضى واختلاط"⁴، ولهذه المهمة دعاهم إلى الاهتمام بالمتعلمين من الجانب التربوي القائمة على التربية والفضيلة الإسلامية، كما حثهم على الثبات في مبادئ عملهم، والحرص على المسؤولية الكاملة في مهمتهم، ولبّ هذه المهمة هو انقاذ الجيل الناشئ من الأمية التي شلت المواهب عند الآباء، وتحبيب العربية وتزيينها في القلوب، والبداية تكون بمدارس الشعائر الدينية في الصغر عسى الضياع لها كباراً.

كما حث المعلمين على زرع المحبة في نفوس التلاميذ للعلم والمعلم والوالدين وحبهم لبعضهم، وحب الله والرسول والإسلام، مؤكداً لهم على السعي في رفع مستواهم العلمي، مع غرس الأخلاق الفاضلة فيهم؛ فالأمة هي في حاجة إلى الأخلاق والفضائل والعلم معا مطبقا المقولة التي تعتمد على التلازم بين (الأخلاق بالعلم)⁵؛ وإلا ستكون فوضى، فهذه الحركة العلمية هي أمانة في رقابهم وعهد ووفاء عليهم أمام الله وأمام

1 - ينظر: البشير الإبراهيمي، إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، الآثار، ج2، ص292

2 - ينظر: البشير الإبراهيمي، كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار، الآثار، ج2، ص298.

3 - ينظر: عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالجمعيات الأخرى (1931-1945)، دراسة تاريخية وأيدلوجية مقارنة، ص129.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص299.

5 - ينظر: البشير الإبراهيمي: كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار، الآثار، ج2، ص111، ص296.

الأمة والتاريخ والخصوم، وهذا لا يكفي وحده في نظره؛ بل أن يكون المعلم صاحب طريقة مثلى في التعليم حتى يستقطب انتباه الطلبة إلى درسه.

وبالمقارنة بالتعليمية الحديثة نجد البشير الإبراهيمي قد وفق من ناحية تكوين شخصية المعلم في اتقان المهارات اللازمة وفكرة التنفيذ للدرس من خلال تهيئة وإثارة الدافعية والتشويق لاكتساب المعرفة للمتعلمين وفكرة الإشراف على المتعلمين لضبط العملية التعليمية أما التقويم للمتعلمين الحاصل من مكتسباتهم وانجازاتهم في عصرنا يقوم به المعلم¹؛ ولكن أبان الثورة كانت جمعية العلماء بالتعاون مع المعلمين توم بهذا التقويم عن طري الاختبارات الفصلية و السنوية الوطنية . فنجد البشير الإبراهيمي في هذا التوجه قد أفلح يجمع بين الجانب المادي والعلمي والروحي في توجيه المعلم؛ وهو فكر سباق ومواز لما تطرحه التعليمية الحديثة من مبادئ وتشريعات.

2.4. المتعلمون:

كان اهتمام البشير الإبراهيمي منصبا بالنشء وبالطلاب المهاجرين إلى تونس؛ ففئة النشء وجه خطابه إلى الأولياء والمعلمين، أما الأولياء، فحثهم على التربية الصحيحة والقويمة لصغيرهم في البيت قبل المدرسة، باعتبار المدرسة أخت البيت، فالبيت مساعد في تكوين شخصية المتعلم الصغير بالتربية الصالحة وتنظيم الحياة؛ حيث دعا إلى طرح فكرة زرع الخوف والغضب، والحسد وسرعة التأثر والانفعال وسرعة التصديق بكل شيء، وإفشاء كل ما يسمعه التلميذ وتراه عينه، وترويضه على الصبر والصدق والتسامح والشجاعة، أما المدرسة من طرف المعلمين تثقف وتهذب، ففي الجانب العلمي اشترط أن تختار كتبهم عامرة مملوءة علما ومعينة على فهم الحياة وتقويم اللسان²، كما يحتمل التلاميذ على التكلم بالعربية الفصحى ما داموا في المدرسة، ومن الحكمة في ذلك ألا ينطق المعلمون أمامهم بالعامية أو الفرنسية حتى لا تخدش ملكاتهم، فلا تستطيع أية لغة أجنبية أن تمد الطفل بالقدر اللازم من المعاني التي تسهم في تربيته تربية وطنية غير اللغة العربية³.

أما الطلاب فسماهم "بالجيل الجديد"، مبيّنا لهم طريق العلم ومفهومه ومفهوم الحياة، والأمل المستقبلي المرجو منهم والمحمول على عاتقهم، جيل يحمل ملكات خالية من النظريات المجردة والمحاكاة اللفظية، وإنما بإتقان اللغة العربية علما وتعلّما⁴، وحثهم على المطالعة في أوقات الفراغ، وحثهم على طرائق البحث في التاريخ والاجتماع والأدب والكتب. وإنّه لا يحسب أنّ جمعية العلماء هي المسؤولة عن بناء الأمة، الناظرة إلى مستقبل هذا الجيل بعين بصيرة، ولذا اهتم محمد البشير الإبراهيمي بحل مشكلاتهم

1 - ينظر: نادر فهد الزبود وآخرون، التعلم والتعلم الصفي دار الفكر عمان، الأردن، ط4، 1999، ص176-177.

2 - ينظر: البشير الإبراهيمي، قادة الجيل الجديد في ميادين العلم، الآثار، ج2، ص264، وينظر: المرجع نفسه، الأمية، ص144-145.

3- كامل الباقر، في معركة الثقافة، ص25.

4 - ينظر: عبد القادر قلاتي، الإمام محمد البشير الإبراهيمي كما عرفته جريدة البصائر، ص3.

المادية والمعنوية، والإيمان بمشروعية مطالبهم وأحقيتها في التوسعة والإيواء في المعاهد وخاصة بعد أن كان الطلبة يهاجرون إلى تونس لطلب العلم في جامع الزيتونة، مما دعاه إلى الإسراع في بناء معهد قسنطينة وتلمسان والجزائر وغيرها، وفي ذلك يقول في أبيات عنوانها "يا طالب"¹:

لا تأس بعد اليوم يا طالبُ *** فالعلم غال شأنه غالبُ
أنت بعين الرعي في أمةٍ *** قد جلب الخير لها جالبُ
تبوء الدار وعد بالحمى *** لا ضرر بعد اليوم يا طالبُ

وبعد التزامه اتجاههم، وضع البشير الإبراهيمي تنبيهات وتوضيحات تخص الطلبة الملتحقين بالمعاهد في الجانب العلمي تصب في كيفية النشاط والاجتهاد، وهو ما نجده وهي قمة النصيحة للطلاب، وهي أن يطلبوا العلم: "لوجه الله ولوجه العلم، لا الوظائف ولا الشهادات"²، موازاة بطلبه من المعلمين والشيوخ في كيفية مراقبة طلبتهم، وغيرها من الأمور التي تعمل على النهضة و تحقيق شروط التعليم الحق³. وما أورده البشير الإبراهيمي في العناية بالمتعلم روحا وعلماء؛ نجده موافق تاما لما تسعى إليه التعليمية الحديثة بل نجده عمقا في الاهتمام لحساسية هذا العنصر في نشاطات التعليمية الذي لا بد من معرفة ميوله وخصائصه الجسمية والعقلية واحتياجاته وسلوكه وغيرها من الأسس التي تخرج المتعلم من مكتسب للمعرفة إلى منتج يكون مميز⁴.

3.4. التخطيط لبرامج التعليم:

اعتبر البشير الإبراهيمي ميدان التعليم بمثابة سباق فرسان تختلف منافستهم في عديد من الأمور كالتوجيهات والامتحانات والتربية والتمحيص والتمرس والاحتكاك، وقد كان نشاطه واضحا في إعداد أربع أمور: برنامج المواد، التقسيم الزمني، المنهاج للمعلمين، تعليم القرآن، اللغة العربية، نعرض لكل ما قدمه فيها كالآتي:

أ- منهاج المعلمين:

على إثر بناء المدارس وتوظيف المعلمين، وضع الإبراهيمي للبرامج التي تدرس في أقسام التعليم الابتدائي منهاجا يمثله كتابا سماه "مرشد المعلمين" في جزئين، يحوي كل التوجيهات التي تعين المعلم على تعليم التلاميذ بهدف توحيد المشارب، وتوحيد التعليم في الجزائر، وحتى تكون نهضة التعليم ذات وجهة

1- ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، ع180.

2- البشير الإبراهيمي، إلى أبنائي الطلبة، الآثار، ج2، ص220.

3- ينظر: البشير الإبراهيمي، معهد قسنطينة، الآثار، ج3، صص 27-30.

4- ينظر: كمال عبد الحميد زيتون، التدريس نماذجه ومهاراته، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص81.

سليمة وصحيحة¹، إضافة لذلك يوصي المعلمين بعدم الاعتماد على البرامج المعدة وحدها، وإنما هي ضوابط ترشد إلى الغاية، وإنما المقصد هو المنهج السوي التربوي لنفوس المتعلمين وأفكارهم وألسنتهم². ولمراقبة البرامج لموضوعات الكتب، تكلف البشير الإبراهيمي بالنظر الدوري لها، وللوائح وإكمال النقائص الموجودة في القديم منها، وإنشاء الجديد من النظم حسب ما تقتضيه الحالة³، وقد اقترح تخطيطاً لسنوات التعليم العربي في مدارس الابتدائي أن تقسم إلى ست سنوات متوالية، ويتم تجاوز هذه المرحلة التي تعد الأولى من عمر التلميذ الناشئ بحصوله على شهادة التعليم الابتدائي، وتكون هذه الشهادة حقاً له تنم عن جمعه لمبادئ الدين والعربية (قراءة وكتابة وفهما)، والذي فيما بعد سيكون معلماً بها أو يتابع دراسة في المعهد لتطوير علمه، وهذه هي الغاية من التربية الصالحة والتعليم النافع والموحد⁴.

ب- الكتاب المدرسي: لقد استعانت جمعية العلماء في بداية نهضتها في تعليم المتعلمين المبتدئين في المساجد والمعاهد والمدارس بكتب البلدان العربية المجاورة حيث كانت بحاجة ملحة إلى الكتاب المدرسي، ونذكر من هذه البلدان مصر باعتبارها أقرب منطقة لبلد الجزائر فقامت الجمعية بإرسال مذكرة إلى الجامعة العربية تحمل شكرًا وامتنانًا على هذه الكتب "جمعية العلماء في حاجة ماسة إلى الكتب المدرسية المتنوعة لتلاميذها الابتدائيين، وهي تجري في تعليمها على المنهج المصري لقربها من مصر وسهولة جلب هذه الكتب، فمن حق جامعة الدول العربية مجازاة وزارة المعارف المصرية بأن تقدم لها هدايا سنوية لهذه الكتب ولتوزيعها بالمجان على فقراء التلاميذ"⁵، ثم تنوعت بين كتب لبنان ووتونس والمغرب، واستمر ذلك إلى الاستقلال باعتماد الكتب السورية فيما بعد واعتماد معلمي المشرق أيضاً لمواصلة هذه النهضة.

ج- التوزيع الزمني لمواد التعليم:

فصل البشير الإبراهيمي بخصوص هذا الأمر في مرحلة التعليم الابتدائي أن يجمع بين تعليم القرآن واللغة العربية وعلوم الدين؛ إذ يقول: "إن مدة التعليم عندنا هو خمسة أيام في الأسبوع، وهي تقسم عليها خمسة عشرة ساعة كان الحاصل والقسمه ثلاث ساعات لكل يوم.....، فالتعليم الديني في الجزائر لحفظ القرآن يستغرق حفظه ثلاث ساعات في اليوم، وماذا يبقى لتعليم العربية والدين؟ وإن أولياء التلاميذ هدفهم تعليم أولادهم العربية والدين والوصول إلى ذلك يكون ست ساعات كاملة في اليوم؛ ثلاث دروس في

1- ينظر: للاطلاع على المرشدين: البشير الإبراهيمي، مرشد المعلمين 1 و2، الآثار، ج3، ص 155-159.

2- ينظر: البشير الإبراهيمي، معهد قسنطينة، آثار البشير الإبراهيمي، ج- 2، ص 159.

3- ينظر: البشير الإبراهيمي، المعهد والمدارس، الآثار، ج3، ص210.

4- ينظر: البشير الإبراهيمي، مرشد المعلمين (1)، الآثار، ج3، ص156-158.

5- الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، مليلة، الجزائر، 1992، ص202.

الصباح وثلاث دروس في المساء، محددًا كل درس يستغرق 45 دقيقة أو ساعة¹. وهو لا يزال معمولًا به في زمننا.

كما وازن في مسألة اللغة بين تدريس اللغة العربية واللغة الفرنسية، مقسمة بين ست ساعات في اليوم (ثلاث للعربية وثلاث للفرنسية)؛ فاللغة الأولى منهل الحياة، والثانية كاللغة الأجنبية؛ فلا أحد ينكر فوائد تعلم لغة ثانية، وقد رغب الإسلام في تعلم لغات أخرى من مقولة "من تعلم لغة قوم أمن شرهم"، لكن لا على حساب اللغة الأم وهي اللغة العربية، وقد شدد على العناية بذلك حتى لا يكون طمس للهوية واللغة، وهذا يدل على خبرته في أهميته تقسيم الوقت وتأثيره على نفسية المتعلم وعنده البرامج لا تكون بناءً في حالة تراكمها أو فوضى في توزيعها².

كما اشترط في إعداد برامج التعليم وإيصالها إلى الغايات المقصودة أن يكون محتواها يهدف إلى تربية الجيل على الفضائل وأهمها تربية العقائد، فهم أمانة الوطن وودائع الأمة، ذات مواضيع تمزج الحياة لهم بالعلم والعلم بالحياة؛ فالأشياء التي يرثها الجيل هي الأخلاق والآداب والأفكار والإحساسات والاتجاهات العامة، وفي الجانب العلمي يتم استخدام مواهب المتعلمين الفطرية في تكوينهم، والعمل على تربيتهم على العلم بالذهن المحلل والحياة بالعقل المفصل، وتبين العلل والأسباب لهم لتثبت في نفوسهم ملكة التعليل³.

أما بالنسبة للطلاب في المعهد الباديسي حسب السنوات الأربع وغيره من المعاهد فقد اعتمد توزيع المواد التعليمية المتفق عليها بين أعضاء جمعية العلماء المسلمين على النحو الآتي:

الجدول 1: توزيع التعليمية المتفق عليها بين أعضاء جمعية العلماء المسلمين

المواد التعليمية	السنة أولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
القواعد	05	05	04	04
القرآن والدين	05	05	05	06
الأخلاق	01	01	01	01
التوحيد	02	02	02	02
الجغرافيا	01	01	03	03
التاريخ	02	02	02	02
النصوص الأدبية	02	02	02	02
البلاغة	02	02	02	02

1- ينظر: البشير الإبراهيمي، الحالة العلمية، الآثار، ج 1، ص 145.

2- ينظر: البشير الإبراهيمي، التعليم العربي والحكومة، الآثار، ج 2، ص 263.

3- ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، معهد قسنطينة، ع 18، ص 27.

00	01	01	01	تاريخ الأدب
00	00	00	01	الرسم والاملاء
02	02	02	02	التجويد
04	04	04	04	اللغة الفرنسية
02	02	02	02	الحساب والهندسة
30	30	30	30	المجموع

المصدر: الحسين عزة، معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ودوره في نشر التعليم العربي، (1957-1947)، مجلة الابراهيمية لأداب والعلوم الانسانية، جامعة برج بوعريج، ع1، جانفي 2020، ص 148.

مع العلم أن المعهد قد كون مكتبة بمرور الوقت ولكن أحرقت من قبل المستعمر عند اغلاق المعهد سنة 1958، وتعقيباً على ذلك نجد أن التقسيم للبرامج سواء للتعليم الأساسي أو طلاب الثانوي كان هو تقسيماً منطقياً شاملاً متكاملًا وملئاً بالأعمار ومتوازناً ومتناسقاً مع الأقسام الموزعة، فالغاية لجمعية العلماء كانت أهمها تنحصر في تربية المتعلم والطالب تكويناً عقائدياً ودينيًا ولغويًا ووطنياً بغرس مبادئ الهوية الوطنية، خاصة في تلك الحرجة التي يمر بها المجتمع الجزائري كان المهم هو نشر اللغة العربية ونشر الإصلاح، فمثلاً حينها كان البشير الإبراهيمي يواجه لتعنت الإدارة الفرنسية و من بين المحاولات الفرنسية نجد غلق مدرسته بأقلو سنة 1940، وتغريمه وسجنه،¹ وفي هذه المسيرة نقول أن الشيخ البشير الإبراهيمي كان له الدور الفعال والبارز في إحياء نشاط المدرسة التعليمية والتربوي والإصلاحي وبعث الأثر الإسلامي وأمجاده وإحياء اللغة العربية مع حثه عدم إهمال التربية حيث قال: "وأما التعليم فهو الغرض الغاية من المعهد، وإن معهدنا ليعنى من أول يوم بالتربية التي تهملها المعاهد كبيرها وصغيرها أو تتساهل فيها مع أنها هي الأصل والأهم المقدم"². ولذا اتم هذا التوجه من التفكير الوطني إلى ما بعد الاستقلال "ضمن مشاريع البناء إلى بناء الإنسان وتنظيم التعليم الذي منه ينطلق بناء وعي الإنسان وتربية وجدانه"³.

د- التقيد بأهداف برامج التعليم:

اختلفت هذه المواد بين تعليمها من الابتدائي والأهلي والمعاهد؛ ففي الابتدائي صمم مواد تعليم القرآن حفظاً، القراءة والكتابة عن طريق الإملاء والإنشاء، والصرف والتربية الدينية والحساب

1 - ينظر: محمد بلقاسم، النشاط التعليمي لجمعية العلماء المسلمين، بتلمسان، دار الحديث نموذجاً، مجلة القرطاس، جامعة تلمسان، ع4، جانفي 2017، ص187.

2 - محمد البشير الإبراهيمي: معهد عبد الحميد بن باديس ماله وما عليه، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص89-90.

3 - عبد القادر فضيل، نظم التعليم في الجزائر، بين مظاهر التدني ومستويات التحدي، دار جسر، مركز الشهاب، الجزائر، ط1، 2016، ص41.

والأناشيد الدينية، أما التعليم الأهلي، فقد اتبع نفس المنهاج والبرامج مع إضافة الأناشيد الوطنية وتفسير القرآن والنحو، أما في المعاهد فبرامجها تابعة للمدارس مكملة لها، حيث يتطابق برنامج الدراسة فيها وكتبها كما في برنامج الكتب الابتدائية بجامع الزيتونة؛ حيث نجد توسعا لكل مادة قد تعلمها المتعلم في الابتدائي إضافة إلى التاريخ والجغرافيا، وهو ما اتضح لنا في تخطيط البشير الإبراهيمي للتعليم في معهد ابن باديس، وقد عمل فيه على تكملة الدروس في مبادئ الرياضيات والطبيعيات والجغرافيا والتاريخ وحفظ الصحة وأصول الأشياء¹، ويمكن أن نطل على محتوى مادة التاريخ الذي يحمل قيما وطنية تعلقته دروسه بتاريخ الوطن وتاريخ العرب وغزوات الإسلام التي كان الهدف منها بعث عاطفة الولاء للوطن الجزائري، وإلفات الطلبة إلى أسبقية العرب في العديد من الابتكارات والأبحاث العلمية من الحضارة الإسلامية لا من العصر الوسيط المنسوب لأروبا، ومكانة الدين الإسلامي من خلال غايات الغزوات الإسلامية².

وكان الهدف من وضع هذا المنهاج للمتعلمين، أنه يقوي ذاتهم في الدينيات علما وعملا، وفي القرآن حفظا وفهما، وأن يروض ألسنتهم على القراءة والخطابة وأقلامهم على الإنشاء والكتابة، ولتعويدهم عقولهم على التفكير الصحيح ويصوغهم صياغة أخلاقية متقاربة، ويشرف بهم على علوم الحياة، ويهيئهم تهيئة صحيحة قوية للتعليم العالي، ولا يتم ذلك إلا باللغة العربية، كما يقول: "قرأوا أنّ مفتاح الباب الذي منه دخلوا ومبدأ الطريق الذي منه وصلوا هو (ألفبا) وأنّ أول منعم عليهم بهذه النعم الجليلة هو أول من علمهم هذه الحروف الضئيلة"³، كما أنّ إصلاح كتب هذه المواد هو عمدة الأهداف في جمعية العلماء في اختيار الدروس الأقرب من الإفادة، وأعون على تحصيل الملكة العلمية، وهذه المراجع التي تؤخذ منها الدروس تكون من كتب سهلة⁴، كما يتم الانتقال في هذا المعهد على أربع سنوات حسب الشهادة كما في جامع الزيتونة.

ومن شروطه أن يؤدي الطلاب الامتحان كل سنة، ويضع شروطا لقبولهم تخصّ العمر والصحة والعلم، كحفظ ربع القرآن، والقدرة على نفقات المعهد من سكن وإيواء وكساء⁵، وباعتبار هذه المعاهد تابعة للمدارس وغرة أعمالها، فتعليمها هو التعليم بالمعنى الكامل عند غيرنا من الأمم ببرامجها وكتبها وأدواتها، ورغم ذلك، نجد نقيصة في برامج المعاهد، وهي ضعف الميل إلى التخصص، وضعف الميل إلى الابتكار، وهو ما حتّ عليه البشير الإبراهيمي للانتباه إليه وإتمامه، وهو عين الصواب.

1 - ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، معهد قسنطينة، ع 18، ص 27.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركات الوطنية الجزائرية، ج 2، ص 401.

3 - البشير الإبراهيمي: الإصلاح الديني، الآثار، ج 1، ص 203-204.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص 130.

5 - ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، معهد قسنطينة، العدد 18، ص 27.

وما نستشفه من خلال قرائتنا لمقالات البشير الإبراهيمي في مسألة الامتحانات والعامل النفسي للتلميذ كان وضعه يخالف ما نجده في أيامنا في فكرة: "الطقوس التي يفرضها النظام أيام الامتحانات ، والتي تدخل الرهبة في نفوس الممتحنين ، وترهق عقولهم وتهدد قدراتهم، ولا تترك لهم أي مجال للترويح عن النفس أو الاطمئنان النفسي، إن هذه الطقوس من شأنها أن تخلق ظرفا رهيبا يثبط عزيمة التلميذ ويزعزع ثقته بنفسه، ويشككه في قدراته ومن ثم يكون السبب في الاضطراب الذي يحصل له والذي يحجب عنه إدراك المعنى ومعرفة الحقيقة"¹؛ فالتلميذ كان متحمسا لطلب العلم والتفوق والنجاح والمنافسة في مقابل التشجيعات التي تقوم بها جمعية العلماء المسلمين آن ذاك.

هـ- تخصيص منهج خاص لتعليم القرآن واللغة العربية:

لقد حارب الاستعمار الفرنسي اللغة العربية والدين منذ احتلاله لأرض الجزائر، وهو أمر شغل البشير الإبراهيمي على وضع منهج في تعليم القرآن وعلومه، وكذا تعليم اللغة العربية، وكان تعليمهما سائدا في المساجد والمعاهد، وقد عمل في كل مرة على إصلاح المنهجين؛ ونذكر كل منهما كالآتي:

1- تعليم القرآن الكريم: أشار البشير الإبراهيمي إلى الحالة العلمية المتبعة فيه على أن يكون مختلفا عن التعليم السابق، والمتمثل في طريقة التقليد والتحفيز والتلقين السطحي، أو الانتقال من منهج التسليم للمعارف إلى مرحلة الاستدلال، أي دون تحليل أو تعليل في حفظ الآيات والأحاديث، وهي طريقة متبعة أكثر في الزوايا القرآنية لا علاقة لها بالعلم، وميزة الطور العلمي في هذا التعليم طور استدلال؛ فالتعليم قبلا كان عبارة عن "أقوال سلمها الشيخ لكتابه ويسلمها التلميذ لشيخه؛ فلم يكن في ذهن الشيخ قوة على التماس الدليل، وهذا التسليم أدخل الخرافة والأحاديث الموضوعة والمبالغات السخيفة، وهذه النزعة انتقلت إلى مجالس العلم، فسيطرت عليها وفتكت عقول المعلمين والمتعلمين وإن لم يتعمدها..."²، حاثا على تدريسه بطريقة حية مثمرة وعلى أساس أنه هداية عامة لجميع البشر في كل زمان ومكان حتى ينشأ جيل قرآني يتقن القرآن حفظا، وأداء وفهما والعمل به ومتخلقا بهديه³.

2- تعليم اللغة العربية: هذه اللغة حاربها المستعمر وباعتبارها المعبر عن الدين والعلم والفلسفة والقوانين والأعراف والتاريخ والعادات، فقد وضع مخططا تمثل في تشجيع العامية بدلا من العربية الفصحى⁴، وذلك منذ 1832 بنشر كتاب خاصا بقواعد اللغة العربية والعامية الجزائرية بعنوان «Grammaire élémentaire d'arabe vulgaire ou Algérien a L'usage des français» ، كما ألفوا كتباً عديدة ملئت بالحكايات الخاطئة لمحاربة العربية⁵، وهذا ليفهم المستعمر لهجة الشعب

1 - عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر، حقائق واشكالات، ص 162.

2 - محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، ع2، ص 10.

3 - ينظر: البشير الإبراهيمي، الإصلاح الديني، الآثار، ج1، ص 129.

4 - باعزیز بن عمر، اللغة العربية والدين بالجامعة الجزائرية، جريدة البصائر، ع5، ص 1.

5 - باعزیز بن عمر، اللغة العربية بالمدارس الثانوية، جريدة البصائر، ع10، ص 2.

العامة، وحتى تقبر اللغة العربية الفصحى التي هي لغة القرآن الكريم¹. وهو ما أكد عليه محمد البشير الإبراهيمي في قوله: "اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثمّ فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية"². كما عبّر عن مكانتها في نفوس الشعب الجزائري في قوله: "أنّ اللغة العربية هي لغة الأمة وهي ترجمان أفكارها وخزان أسرارها، والأمة الجزائرية ترى في اللغة العربية زيادة على ذلك القدر المشترك أنّها حافظة لدينها وأنّها صلة بينها وبين ربّها"³، ولأنّ محمد البشير الإبراهيمي متفق مع ما أقرته جمعية العلماء في أسلوب تعليم اللغة العربية رأى أن يكون "تلقين التلامذة أبسط القواعد في أسهل التراكيب، ثمّ تمكينها في نفوسهم بالتمارين التطبيقية والحرص على إشرافهم معنى ما يقرأون والاجتهاد في تربية ملكة الذوق والاستنتاج في نفوسهم، وفي إصلاح اللهجات التي حرفتها العامة عن سبيلها العربي وتقويم اللسان على الحروف وهياتها ومخارجها والتشجيع على التكلم أمام الناس بما يمليه الخاطر من غير اعتماد على وحي معلم أو كتاب"⁴، وأن تدرس اللغة العربية بكيفية تؤدي إلى تحصيل الملكة القيّمة والذوق الصحيح، ويقول في ذلك: "وندعو إلى العلم التطبيقي العلمي وتطبيق الجزئيات على الكليات ليس من الاجتهاد وإنّما هو روح العلم... وهذه النزعة الاستدلالية جاوزت آفاق الطلبة... فأصبحت نفوسهم نزاعة إلى طلب الدليل"⁵، فمن مظاهر الاستدلال فهم العربية الفصحى بالسماع، فقد أصبح حينها الشيخ الجاهل الأمي يجلس في مجالس الوعاظ ويتعلم الفصحى لا العامة، مع أنّ العربية أقرب عاميته وفطرته وروحه⁶، وأن تعيد للعربية معجزاتها في فتح الأمية، كما حثّ الطلاب لتعلم العربية نطقا وكتابة، وألا يكتفوا بالكتب المقررة، بل يكتب غيرها التي تمثلها المطالعة حتى يستحكموا في اللغة ويتسع إدراكهم⁷، وفي هذا قال في الذود عن اللغة العربية⁸:

❖ نغار عن أحسابنا أن تُمتَهَنُ ❖

❖ والحرّ عن مجد الجدود مؤتمنُ ❖

❖ ولغة العُربِ لسان ممتحنُ ❖

❖ إن لم يزد أبنائهم عنه فمن؟ ❖

1- ينظر: رابح لونيسي: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920—1954)، ص 107.

2- محمد البشير الإبراهيمي: التعليم العربي، الآثار، ج 2، ص 24.

3- محمد البشير الإبراهيمي، اختلاف ذهنتين في معنى التعليم العربي، جريدة البصائر، ع 152، ص 1.

4 - محمد البشير الإبراهيمي: الإصلاح الديني، الآثار، ج 1، ص 128.

5 - محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، ع 131، ص 5.

6- ينظر: البشير الإبراهيمي، الحالة العلمية، الآثار، ج 1، ص 149.

7- البشير الإبراهيمي، إلى أبنائي الطلبة، الآثار، ج 2، ص 218-219.

8- البشير الإبراهيمي، الإسلام، الآثار، ج 2، ص 550.

وفي هذا يقول الدكتور فضيل عبد القادر عن عناء الجيل المتعلمين غداة الاستقلال: "وجود نسبة قليلة من المتعلمين بالعربية وهذه النسبة هي التي تم الاعتماد عليها في خوض معركة التعليم التي كانت إحدى المعارك البارزة في إطار بناء الدولة ضمن مشروع نشر اللغة العربية، ولكن هؤلاء المتعلمين بالعربية لم يكن أهامهم في مجال توظيف معارفهم اللغوية والقيام بواجبهم إلا التدريس والإمامة، لأن المجالات الأخرى كانت حكرًا على غيرهم من المتعلمين بالفرنسية"¹.

وما نستنتجه أنّ تعليم العربية خاصة مرّ بمرحلة عسيرة في مرحلة الاستعمار، ولكن الشيخ الإبراهيمي ساعد على تسييرها بجهوده، والتي تصب في خطة رسمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولقد أدى هذه الوظيفة باقتدار منقطع النظير بالرغم من سنه؛ مما ينم عن خطط واضحة وجليّة في الأهداف المستقبلية لبناء جيل مستقبلي قويّ أنّ ذلك يمثل الأمة الجزائرية، وفي مسألة الجمع بين تعليم القرآن الكريم واللغة العربية ولو كان الشعب الجزائري بين عرب وبربر يقول في ذلك: " (فلما أقام الاسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة لأنها أقامت معه العربية لاتريم ولا تبرح، مادام الاسلام مقيما ولا يتزحزح ... ومنذ ذلك الوقت بدأت تتغلغل في النفوس وتنساع على الألسنة واللهواث، وتنساب بين الشفاه والأهواء، يزيد بها طيبا وعذوبة أنّ القرآن بها يتلى، وإن الصلوات بها تبدأ وتحتّم، فما مضى جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرها، وخالطت الحواس والمشاعر معا وزاحمت البربرية على ألسنة البربر... وسلطت سحرها على النفوس البربرية فأحالتها عربية كل ذلك باختيار لا أثر فيه للحير، واقتناع لا بد فيه للقهر)"².

ومانجده أنّ المعالجة البيداغوجية التي اقترحها البشير الإبراهيمي للبرامج والمناهج مناسبة للمعلم والمتعلم للنهوض بالعلم في الجزائر أيام الثورة لمواجهة المستعمر التي كانت محتاجة لمثل هذه البرامج والمناهج الأصلية للحفاظ على الهوية الشخصية والوطنية. وهذا موافق لمبادئ ثلاثة وهي انتقائية المضامين والتبسيط للمفاهيم والمعارف حسب مستوى المتعلم والمحافظة على الوظيفة التربوية الهادفة إلى اكتساب المعارف وانتاج كفاءات جديدة³؛ فقد عمل البشير بشكل متواز لهذه الثلاث ركائز التعليمية التعليمية (المعلم والمتعلم والمنهاج ببرامجه ومقرراته) حتى إذا صلحت يستقيم أمر التعليم ومنظومته، لذا يقول: "فالأمة تريد من التعليم العربي الحكومي الذي يحقق للعربية بصفة رسمية أن يكون تعليمًا كاملاً من جميع مراحلها تبني على أساس صحيح من المرحلة الابتدائية، وصحة الأساس تكون بالمعلم الكفء والكتاب الوافي والبرنامج الكافي لينتقل صحيحًا إلى الدرجتين الثانوية والعليا"⁴، وأهم رؤية في ضبط

1- عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، دار جسور، الجزائر، ط2، 2015، ص42.

2 - ينظر: عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، ص30-31. عن جريدة البصائر العدد 41 عام 1948 (العربية في الجزائر عقيلة حرة وليس لها ضرة).

3 - ينظر: محمد الدريج وآخرون، عودة إلى تعريف الديداكتيك أو علم التدريس، مجلة علوم التربية، ع47، 2011، ص18.

-البشير الإبراهيمي: اختلاف ذهنيّتين في معنى التعليم العربي، الآثار، ج2، ص 313. 4

العملية التعليمية وضمان جودة التعليم، أن يتمّ تحسينه عن طريق المراجعات والتجديد المستمر، وإنّ هذا ليدل على رؤيته العميقة لمستقبل الأمة الجزائرية المرتكزة على التعليم وإصلاحه ووضوح غاياته.

5. تخطيط البشير الإبراهيمي للغايات من التعليم:

إنّ فكرة البشير الإبراهيمي المتكررة هي أنّ تطور حياة الأمة وحرّيتها يكون بحريّة التعليم من المستعمر وبخاصة مرحلة التعليم الابتدائي، ويمكننا عرض الغايات التي بنّاها في خطابه ومقالاته، والتي تنم عن إخلاصه في حب وطنه، ونجد منها كالاتي:

1.5. الغاية من بناء المدارس:

وهي أن تبني حياة الأمم بالمدارس لا بالمصانع ولا بتناسق الحداثق؛ فلا بد من المدارس، وإلاّ "فهي بناء جسم بلا قلب فالأولى تمثل عواطف الدنيا والمتع واللذات والتباهي وطلب الذكر، والثانية تمثل إرواء العقل والروح وإرضاءً للميول الصاعدة"¹؛ فالأمم تتفاضل وتتعالى بالبناء للخير والمنفعة والجمال والقوة، وما عدا هذه الأربعة السابقة الذكر، فهي فضول عابث؛ والمدارس مظهر للمنفعة، وهي بمثابة يقظة وتغيير لنمط حياة الأمة، لذا كان يقول دائماً: "إنّ حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، والحياة بالعلم؛ والمدرسة منبع العلم، ومشروع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة، فمن طلب الحياة من غير طريق العلم زلّ، ومن التمس الهداية إليه من غيرها جهل، والأمم تشهد على ذلك"²؛ ولذا سارع في تنشيط المدارس، وتشجيعها بالمال والاجتماعات والجوائز، وحثّ الهمم في الرفع من شأنها والمواصلة، فهو العارف بغاية المدرسة وما تدّرّه في مستقبل الجيل الناشئ.

2.5. الغاية من وضع المناهج:

عندما بدأ البشير الإبراهيمي نهضته التعليمية، وجد الأمة في وضع الاضمحلال والتلاشي في الدين والعمل والمال والعلم، والتحجر وطمس التاريخ، وغلط القيم في الحياة، مما شلّ الإرادات والعزائم وحلّ المصاعب، وغاية المدرسة من تربية الجيل وتعليمه، أربع غايات نجملها:

- توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه واتجاهاته، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح فهمه للحياة، وتسديد نظره إليها، وفي ذلك يقول: "فإذا تمّ ذلك، طمعنا أن تخرج لنا المدرسة جيلاً متلائم الأذواق متحد المشارب، مضبوط النزعات ينظر إلى الحياة، كما هي نظرة واحدة"³، وهذه غاية الغايات.

- تفقيهه في دينه ولغته وتعريفه بنفسه، ومعرفة تاريخه والأصول التي جهلها من آبائه.

- توحيد المنهاج والتربية، وتقديمه إلا بتوحيد الإدارة، والإدارة تتمّ إلا بتوحيد الإشراف العام، وهي خطوات قامت بها أمم أخرى¹، وهذه تمام الغايات.

1- ينظر: البشير الإبراهيمي، مدارس جمعية العلماء، الآثار، ج2، ص 283-284.

2- المرجع السابق، ص 284.

3- البشير الإبراهيمي: حقوق الجيل الناشئ علينا، الآثار، ج2، ص 303.

- توحيد الغايات يكون إلا بتوحيد الوسائل المتمثل في توحيد المسابقات والامتحانات، متّخذاً إياها كشعار تفادياً للاختلاف والتفرقة بين المدارس، وللوصول إلى هذه الغاية، هو الكدح والاجتهاد والتوصل إليها بالعمل ومواجهة الأذى والمضايقات من قبل الاستعمار.

وكل الغاية التي تجمعها هذه الغايات من التكوين العلمي والتربوي الذي حظي به أبناء الوطن آن ذاك، هو تسخيرهم لإنقاذ وطنهم من الاحتلال بسلاح العلم للحفاظ على الهوية الوطنية والدينية العربية لجيل المستقبل.

6. نشاطاته وتيسير العوائق في إنماء التعليم في المدارس والمعاهد:

كان البشير الإبراهيمي يشيد بإنجازات وأعمال ونجاحات ما جناه التعليم الابتدائي والمسجدي والمعهد، ويتعهد بها بالإشادة لمواصلة تحمل الأعباء في التسيير الإداري، والتدريس بمعية أبناء الأمة، ومساندتهم مادياً ومعنوياً، فهو يمثل الميثاق المعقود بين الجمعية وبين الأمة، ويمكن أن نذكر ما قدمه:

-التعقيب على نتائج امتحانات مدارس الجمعية والمعهد الباديسي، وغالباً "مجموعها فوق الرضى" في جميع السنوات مشيداً بها في كيفية إجراء الامتحانات وسيرها نتيجة لاستعداد الطلبة واعتمادهم على أنفسهم وانكبابهم إلى الرشد والعلم وإلى صحة التوجيه العقلي والفكري والخلقي لطلبته، ومبشراً على طور الذكاء والنبوغ والبراعة في الدين واللغة، كما يعود الأمر إلى حزم الإدارة وضبطها، وأمانة الشيوخ وإخلاصهم، والتعاون بين مديري المدارس ورؤساء الشعب، وأعلى مظهر للنجاح في التعليم كان يمثله المعهد الباديسي آن ذاك².

-منح الجوائز بتوزيعها على الناجحين بين شهر جوان وجويلية من كل عام، كما في مدرسة شرشال وسطيف، وكان مثنياً دائماً على أعضاء لجنة التعليم العليا في أعمالها المحلية، ومثنياً على ما أعدته الجمعية وما وصلت إليه، لأنها جعلت همها الأول خير المدرسة وفائدة للتعليم، وداعياً دائماً المسؤولين على المدارس والمعاهد إلى المحافظة على هذا التوازن ومضاعفة الجهود لبلوغ الغايات.

-ترقية برامج المدارس الابتدائية كان بحثه دائماً على اختيار أقرب الكتب للمتعلمين لأداء المعنى الصحيح، وفهمه وتدريبهم على تطبيق النظريات على العمليات.

-السعي إلى محاربة الأمية والخرافات والبدع في حملة التغيير التي اتبعتها في الحياة العلمية والاجتماعية، ليكون الأمر متوازناً؛ ووسائله في ذلك كان بنشر المقالات في جريدة البصائر والملتقيات والمحاضرات والمؤتمرات المتواصلة والمنظمة.

-السعي إلى التعريب وتعميم التعليم العربي في المدارس؛ حيث شكّل البشير الإبراهيمي بنفسه نقابة في الدفاع عن التعليم العربي الحرّ المستقل عن المدارس الفرنسية، وهي قضية شكلت مشادة قامت بين

1- ينظر: المرجع السابق، ص 304.

2- محمد البشير الإبراهيمي، معهد عبد الحميد بن باديس، الآثار، ج 2، ص 291 و 292.

الحكومة وجمعية العلماء دامت خمس عشرة سنة، ومن هذه المضايقات والمشكلات التي واجهها في هذه القضية تمثل في غلق مدارس أو فتح مدارس برخصة أو تنصيب معلم أو مدير بعد رخصة بوجوب الإخبار المقرون بالشروع في التعليم، وفي ذلك اعتبره الإبراهيمي استئذانا وترخيصا وغيرها من الشروط على المعلمين والمدراء، وهي شروط تشل حركة التعليم العربي، ليعبر عن ذلك بقوله: "إنّ البلاء المنصب على تعليمنا آت أقله من القوانين وأكثره من كيفية تنفيذها، ومن القائمين على تنفيذها؛ والقائمون على تنفيذها إلا من صغار الشُّرط ومن فوقهم من حكام الأحواز المدنية والمناطق العسكرية.... والتّنفيد عندهم عقوبة لا تنفيذ قانون"¹؛ وبفعل جهاده هذا، استرجعت الأمة الجزائرية اللغة العربية مكانتها في المدارس، لتكون مدرسة جزائرية منتمية إلى العرب والعربية، والنتيجة في رؤياه أنّ التعليم العربي يسهل جعل اللغة العربية لغة رسمية في المدارس، وهو مظهر سياسي وطني، والأمة تريد تعليمًا عربيًا عليه طابعها، وفيه أثر يديها وله مالها، يسائر العصر وقوته ونظامه، لا تعليمًا يحمل جرائم الفناء من المستعمر²، وهكذا تم تعريب التعليم في الوطن العربي ابتداء من المعلم إلى الكتاب بانتقاء النصوص، ووصولًا إلى إنشاء هيئة تعليمية والذي أصبح منذ ذلك الحين معمولًا به في منظومتنا التربوية الحديثة.

7. مواقف محمد البشير الإبراهيمي وإصلاحاته في قطاع التعليم:

كان محمد البشير الإبراهيمي في طليعة المجاهدين في سبيل الإصلاح الديني والعلمي، وبثّ الوعي الوطني، وتصحيح الموازين الفكرية والعقلية في نفوس أفراد الشعب الجزائري، ومن مواقفه وإصلاحاته نذكرها كالآتي:

- للنهضة والتغيير من الوضع الذي كان سائدا بين أبناء الشعب الجزائري، وكان محمد البشير الإبراهيمي أول الدّاعين إلى التعليم والقائدين لحركته، والواضعين لبرامجه والمشرفين على كل دقائقه والمعرضين للبلاء في سبيله فلدفاع عن حرية التعليم العربي، وجد نفسه مدفوعا في أداء هذه المهمة اجتماعيا وسياسيا بدعّمها بالموقف السياسي ليقول: "أمّا نحن، فقد كنا علماء دين ودعاة علم وتربية وزراع خير ورحمة، ولنكن علماء وسياسيين، ولنكن كل شيء ينفع أمتنا ونحمي ديننا ولغتنا"³.

- قدّم الإصلاح الديني على العلمي؛ لأنّ الثاني لا يستغني عن الأول، وتقديمه ضرورة اقتضاها طغيان الفساد في العقائد إلى أن زُهِدَ في العلم والدروس التي وضعت من طرف جمعية العلماء تؤدي غرضين: الإصلاح العلمي بأسلوبها ولغتها ومناهجها، والإصلاح الديني بتعاليمها ومواضيعها إلى أن تهيأت لها الأسباب

1- ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، التقرير الأدبي، الآثار، ص 339-340.

- محمد البشير الإبراهيمي: اختلاف ذهنيّتين في معنى التعليم العربي، الآثار، ج 2، ص 313.

3- أحمد لبشير الإبراهيمي، الحكومة والتعليم العربي، الآثار، ج 2، ص 275.

لدراسات منقطعة في مدارس منتظمة حتى وجدت نفسها قد فرغت من وسيلة، وأعصاها على العلاج، وهي إعداد النفوس لانطباع الملكات العلمية الصحيحة فيها¹.

- إحساسه بالمسؤولية اتجاه المعلمين المغتربين عن أهاليهم في قضيتي السكن والأجور، وهي من المشكلات التي نتجت في طور الإنماء للمدارس، فأثناء النهضة بهذا القطاع، عانى خلا ماديًا بقلّة المال سببه اضطراب في نظام ما تقدّمه الجمعيات المحلية للمدارس يصرح في هذا الوضع: "وإنّي مع ذلك أجزم بأنّه يوجد من المعلمين من لا يرضى بالمكان الذي عيّن فيه، ومن الجمعيات من لا يرتاح إلى العلم الذي عيّن لها... وليعلم أبناءنا المعلمون وأعضاء الجمعيات العلمية أنّ حركتنا قائمة على جهودنا الخاصة وتضحياتها الخاصة ونحن شركاء في هذا الواجب"²، ولذا توجب عليه التوضيح بجهودهم الخاصة، والمسؤولية اتجاههم، وفي ذلك يقول: "وما زالت أجاهد في سبيلهم وأحمل الجمعيات المحلية تبعة التقصير وسأقوم بنفسي في هذا السبيل وأزيح العلل ما استطعت"³. وعلى إثر المشكلات الواقعة، قام بالتشاور بين هذه الجمعيات ورؤساء المدارس، والعمل على حلها حفاظًا على سيرورة التعليم ومواصلته؛ ورغم ذلك يقول بكل تواضع: "ومع ذلك، استطعنا أن نخطو في الإصلاح العلمي خطوات واسعة وأن نلفت الأنظار إلى عملنا القليل"⁴. وإنّ لمواقفه هذه؛ لدلالة كافية على الغيرة بقوة على اللغة العربية وتعاليمها، ولحفظنا للدفاع عنها وباستمرار، وخاصة أننا نعيش في زمن منفتح على كل اللغات والثقافات بفعل ما تقدّمه تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة، أو كما يحلو للبعض أن يسميها العولمة.

ومن بإحدى الشّهادات التي احتفت بمقام الشيخ وجهوده ومواقفه؛ والتي قيلت في حياته يقول الإمام الغزالي: "من الخطأ أن نصوّر أنّ الشيخ الكبير خطيبًا ثائرًا وحسبه لقد كان فقيها ذكي الفكرة، بعيد النظرة"⁵، وتلك هي الشهادة باقية حقيقة إلى الألفية العشرية الآن،

8. نتائج واقتراحات:

أ- النتائج:

من النتائج التي يمكن أن نخرج بها من منجزات الشيخ الإبراهيمي إبان نهضته بقطاع التعليم إبان الثورة التحريرية نجد الآتي:

- تهيئة الأماكن للمتعلمين والطلاب لطلب العلم باستغلال أقربها وهي المساجد والاستغناء بها لتسهيل التعلم والعلم بدلا عناء السفر إلى خارج البلاد.

1 - ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، جمعية العلماء، الآثار، ج 2، ص 144.

2 - محمد البشير الإبراهيمي، المعهد والمدارس، الآثار، ج 3، ص 210.

3 - المرجع السابق نفسه.

4 - محمد البشير الإبراهيمي، المعهد والمدارس، الآثار، ج 3، ص 211.

5 - عبد القادر قلاتي، الإمام محمد البشير الإبراهيمي كما عرفته جريدة البصائر واء أحداث 25 ماي، 2014، ص 11.

- ركز في التربية على تزويد المتعلمين بما يثبتته عاطفيا وروحيا و تهيئته لخدمة وطنه وأمته .
 - عمل في التعليم على اثبات تعلم القرآن واللغة العربية والتاريخ العربي والاسلامي لخلق هوية تجمع بين وطنية وعربية.
 - رعاية الطلاب المهيئين للتعليم بزرع الثقة في قدراتهم والاعتزاز بهم لحمل راية الجيل الجديد والاكتفاء بهم .
 - الاهتمام بتهيئة المعلمين ماديا لحفظ استقرارهم للمواصلة في حمل الرسالة للتحرر من الجهل الذي فرضه الاستعمار.
 - الزام المعلمين الجدد بالأخلاق التي تؤثر في جيل المتعلمين مستقبلا على مبدأ العلم والأخلاق ترتقي الأمم.
 - برع في وضع مناهج مناسبة في كتب المتعلمين وأدلة المعلمين، ونجح في تخطيط البرامج التعليمية المتوازنة والملائمة للطلاب .
 - دعا في طريقة التعليم إلى الابتعاد عن الطرق التعليمية العتيقة كالحفظ والتلقين وإنما اتباع طريقة حيوية وفعالة قائمة على الحوار والمشاركة في سير الدرس.
 - تشجيعه للناجحين بالجوائز في الطور الأساسي والثانوي عن طريق الامتحانات والمسابقات مما حفز دفاعية الطلاب لمواصلة طلب العلم وعزمهم على ذلك.
 - نجح تخطيطه للتعليم في خلق المدارس الحرة حيث توسع نطاقها على جميع مناطق الوطن المهمة كغرداية ، تلمسان، قسنطينة ، الجزائر ... حتى يضمن النهوض الفكري والعلمي بشكل عادل لإبناء الوطن ومن ثم ضمان بعد الحرية الفكرية والروحية للجيل الجديد للأمة الجزائرية.
 - وما نخلص إليه من كل ذلك أنّ محمد البشير الابراهيمي قد جمع بين التربية والتعليم معا فكل منهما يكمل الآخر ، وأنّه خطط للتربية والتعليم في الجانبين المادي والمعنوي بشكل موازي وفي بدايات الثورة التحريرية وصولا إلى الاستقلال الفكري والمكاني معا، وحتى لا يكون الاستقلال شكليا أو منعكسا بالسلب، فالتعليم والتربية هي القاعدة لنفي الاستعمار والذل والظلم وتحقيق الحرية والعدل والحق.
- ب-المقترحات:**

- من المقترحات التي يمكن أن نستفيد منها من منهج التعليم لجمعية العلماء والبشير الابراهيمي وما نضيفه فيما يخدم بالتعليم العام، نذكرها على النحو الآتي:
- المتابعة في احياء الهوية الدينية للأجيال الصاعدة عن طريق تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه في المدارس القرآنية والمدارس الابتدائية والمعاهد الاسلامية .
- احياء الهوية اللغوية بتعليم اللغة العربية الذي لا يقتصر فقط على المدارس العامة والجامعات بل يمكن في المساجد والزوايا والمعاهد بحيث يمكن تخصيص حصة لتحفيظ معاني الكلمات المعجمية التي

تجمع بين شواهد القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر وكلام العرب بطريقة ذات فاعلية وحديثة، للإمام بمفردات اللغة العربية؛ عن طريق المعاجم العربية الهامة كلسان العرب ولو كان المتعلمون صغاراً، وهو معمول به في بلادنا لو تنتشر هذه الفكرة أو المبادرة.

-التشجيع المستمر للمتعلمين والطلاب في المدارس عن طريق المسابقات والاختبارات لتعزيز محبة العلم لذاته والنفع به للرقى بالأمة.

- العمل دائماً على تعزيز الانتماء الوطني للمتعلمين والطلاب وربطهم بالثقافة التاريخية الأصيلة وترسيخ المسؤولية المجتمعية فيهم .

-يمكن أن تدرس كثير من أفكاره وآرائه وتوجهاته كمقياس تعليمي ضمن اللسانيات التعليمية أو كمقياس التخطيط التربوي في جامعاتنا الجزائرية اليوم، كما يدرس فكر مالك بن نبي الجزائري في الجامعات العالمية .

9. خاتمة :

نُشيد في ختام هذه الورقة بالجهود الإصلاحية التعليمية والتربوية للإمام محمد البشير الإبراهيمي التي بذلها للنهوض بالعقل والفكر التربوي و التعليمي الجزائري؛ حيث عمل على الرقي بتعليم المدارس من الأحياء الشعبية والجماعات إلى عمل حكومي منظم؛ واهتمامه بهذا القطاع دليل على أهمية جيل عهده، والعمل على تهيئته جيل آخر منه، لمواصلة حركة التعليم والتربية، ولسير النهضة في جميع الميادين، فقد كان لا يؤمن في إتمام هذه النهضة ونتائجها وغاياتها بالاعتماد على الأقوال والتخطيط للبرامج على الورق، بل توقفت على الموارد المالية أيضاً لتتم. واهتمامه بتعليم أبناء الوطن يعدّ من صميم الوطنية بعد نشر علم الدين وتثبيته قصد إحياء القومية وإحياء اللغة العربية قصد التأصيل إلى العروبة؛ فهو الفهامة لوضع عهده، والعلامة لجيله ببصيرته وذهنه الوقاد، وبمقاله الواصف لمقام الحال، ففي نهضته فُكّت أزمة التعليم في كثير من زواياه، وقد اتبعت آثاره في ذلك بعد الاستقلال فنجح التعليم كقطاع مهم في حياة الجزائريين فهو عمودها، وقد استمر هذا النجاح إلى حين من الزّمن وما زال تميزه إلى يومنا هذا، بحيث يمكن استثمار بعض مناهجه التربوية وخططه التعليمية التي لا تتغير عبر الزمن مهما تغيرت الأجيال والاستفادة منها في المسجد والمدرسة والمعاهد الإسلامية ويمكن حتى الزوايا القرآنية .

10. قائمة المراجع:

• الكتب:

- الابراهيمى، محمد البشير، 1997، الآثار ، جمع وتحقيق : أحمد طالب الإبراهيمي، لبنان، دار الغرب الاسلامي، ط1، ج1.
- الابراهيمى، محمد البشير، 1987، آثار البشير الابراهيمى، جمع وتحقيق: أحمد طالب الإبراهيمي، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، دط، ج 2/ج1/3.

- بو الصفصاف، عبد الكريم، 1996، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالجمعيات الأخرى (1931-1945) دراسة تاريخية وايدلوجية مقارنة، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار الجزائر، الرويبة. دط.

-- توفيق المدني. أحمد ، 1956، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط.

-- الزيود ، نادر فهمي وآخرون، 1999. التعلم والتعلم الصفي ، دار الفكر ، عمان، الأردن ، ط4،

- سعد الله، أبو القاسم، 1992، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4، ج2.

- فضيل ، عبد القادر، 2013 : المدرسة في الجزائر -حقائق واشكالات-، دار جسر، الجزائر ، ط2.

- فضيل ، عبد القادر، 2015: اللغة ومعركة الهوية في الجزائر ، دار جسر، الجزائر، ط2 .

- فضيل ، عبد القادر، 2016: --نظم التعليم في الجزائر، بين مظاهر التدني ومستويات التحدي، دار جسر، مركز الشهاب ، الجزائر، ط1.

- قلاتي، عبد القادر، 2014 ، الامام محمد البشير الابراهيمي كما عرفته جريدة البصائر، وراء الأحداث 25 ماي، الجزائر.

- كمال عبد الحميد زيتون، 2003، التدريس نماذجه ومهاراته، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1.

- لونيسي، رابح، 2009، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، الجزائر ، دار كوكب العلوم للنشر، ط1.

- الورتلاني. الفضيل ، 1992، الجزائر الثائرة دار الهدى، مليلة، الجزائر، دط.

• المقالات:

- الدريج. محمد وآخرون، 2011، عودة إلى تعريف الديداكتيك أو علم التدريس كعلم مستقل، مجلة علوم التربية، ع47، ورابطه <https://www.scribd.com/document/429133460>

-- بلقاسم. محمد ، جانفي 2017 ، النشاط التعليمي لجمعية العلماء المسلمين، بتلمسان، دار الحديث نموذجاً، مجلة القرطاس، جامعة تلمسان، ع3.

- دحماني. عمر جمال الدين ، شتاء 2015، الحركة الاصلاحية داخل المدارس التعليمية العربية بتلمسان (36-52)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية والمتوسيطية (قسم العلوم الانسانية) ، جامعة سيدي بلعباس، ع2 .

- عزة. الحسين، جانفي 2020. معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ودوره في نشر التعليم العربي، (1947-1957) ، مجلة الابراهيمي لأداب والعلوم الانسانية، جامعة برج بوعريج، ع1

• **المجلات والجرائد:**

- الإبراهيمي ، محمد البشير:

- 4 سبتمبر، 1947، البصائر، ع5، السنة الأولى من السلسلة الثانية، الجزائر.
- 26 سبتمبر 1947، البصائر، ع18، السنة الأولى من السلسلة الثانية، الجزائر.
- 18 أكتوبر 1948، البصائر، ع50، السنة الثانية من السلسلة الثانية، الجزائر.
- 15 نوفمبر 1948، البصائر، ع63، السنة الثانية من السلسلة الثانية، الجزائر.
- 31 جانفي 1949، البصائر، ع65، السنة الثانية من السلسلة الثانية، الجزائر.
- 4 جويلية 1949، البصائر، ع85، السنة الثانية من السلسلة الثانية، الجزائر.
- 18 سبتمبر 1950، البصائر، ع131، السنة الثالثة من السلسلة الثانية، الجزائر.
- 15 أكتوبر 1951، البصائر، ع172-173، السنة الرابعة، من السلسلة الثانية، الجزائر.
- 14 جانفي 1952، البصائر، ع180، السنة الرابعة من السلسلة الثانية، الجزائر.
- أوت 1934، مجلة الشهاب ج7، مجلد10، الجزائر.

Bibliography List• **Books**

- Al-Ibrahimi, Muhammad Al-Bashir, 1997, Antiquities, compiled and edited by: Ahmed Talib Al-Ibrahimi, Lebanon, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1st edition, vol. 1.
- Al-Ibrahimi, Muhammad Al-Bashir, 1987, The Works of Al-Bashir
- Al-Ibrahimi, compiled and edited by: Ahmed Talib Al-Ibrahimi, Algeria, National Book Foundation, Algeria, ed., vol. 2/vol. 1/vol. 3.
- Bou Al-Safsaf, Abdel Karim, 1996, The Association of Algerian Muslim Scholars and its Relations with Other Associations (1931-1945), a comparative historical and ideological study, National Institution for Communication, Publishing and Publicity, Algeria, Rouiba. Dh.
- Tawfiq Al-Madani. Ahmed, 1956, This is Algeria, Egyptian Nahda Library, Cairo, ed.
- Al-Zyoud, Nader Fahmy et al., 1999. Learning and Classroom Learning, Dar Al-Fikr, Amman, Jordan, 4th edition,
- Saadallah, Abu Al-Qasim, 1992, Algerian National Movement, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, Lebanon, 4th edition, vol. 2.
- Fadil, Abdul Qader:
- The School in Algeria - Facts and Problems-, Dar Jusoor, Algeria, 2nd edition, 2013,
- Language and the Battle of Identity in Algeria, Dar Jusoor, Algeria, 2nd edition, 2015,

- Education systems in Algeria, between manifestations of decline and levels of challenge, Dar Jusoor, Al-Shihab Center, Algeria, 1st edition, 2016,
- Qalati, Abdul Qadir, 2014, Imam Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi, as known by Al-Basair newspaper, behind the events of May 25, Algeria,
- Kamal Abdel Hamid Zaitoun, Teaching, Its Models and Skills, World of Books, Cairo, Egypt, 1st edition, 2003.
- Lounisi, Rabeh, 2009, Intellectual Currents in Contemporary Algeria between Agreement and Difference (1920-1954), Algeria, Kawkab Al-Ulum Publishing House, 1st edition.
- Al-Wartalani. Al-Fadil, 1992, The Revolutionary Algeria, Dar Al-Huda, Melilla, Algeria, ed.

• Articles

- Aldrej. Muhammad et al., 2011., A return to the definition of didactics or the science of teaching as an independent science, Journal of Educational Sciences, no. 47, and its link ; <https://www.scribd.com/document/429133460/>
- Belkacem. Muhammad, January 2017, Educational Activity of the Association of Muslim Scholars, Tlemcen, Dar Al-Hadith as a Model, Al-Qartas Magazine, University of Tlemcen, No. 3,
- Dahmani. Omar Jamal Al-Din, Winter 2015, The Reform Movement within Arab Educational Schools in Tlemcen (36-52), Algerian Journal of Historical and Mediterranean Research and Studies (Department of Human Sciences), Sidi Bel Abbes University, No. 2.
- Azza. El Hussein, January 2020. Sheikh Abdelhamid Ben Badis Institute in Constantine and his role in spreading Arab education, (1947-1957), Al-Ibrahimi Journal of Arts and Human Sciences, University of Bordj Bou Arreridj, No. 1

• Magazines and newspapers:

Al-Ibrahimi, Muhammad Al-Bashir:

- September 4, 1947, Al-Basa'ir, No. 5, first year of the second series, Algeria.
- September 26, 1947, Al-Basa'ir, issue 18, first year of the second series, Algeria.
- October 18, 1948, Al-Basa'ir, No. 50, the second year of the second series, Algeria.
- November 15, 1948, Al-Sabir, No. 63, the second year of the second series, Algeria.
- January 31, 1949, Al-Basa'ir: No. 65, the second year of the second series, Algeria.
- July 4, 1949, Al-Basa'ir, issue 85, the second year of the second series, Algeria.
- September 18, 1950, Al-Basa'ir, p. 131, third year of the second series. Algeria.

- October 15, 1951, Al-Basa'ir, No. 172-173, fourth year, from the second series. Algeria.
- January 14, 1952, Al-Basa'ir, No. 180, fourth year of the second series. Algeria.
- August 1934, Al-Shihab Magazine, Part 7, Volume 10, Algeria.
- September 4, 1947, Al-Basa'ir, No. 5, first year of the second series, Algeria.
- September 26, 1947, Al-Basa'ir, issue 18, first year of the second series, Algeria.
- October 18, 1948, Al-Basa'ir, No. 50, the second year of the second series, Algeria.
- November 15, 1948, Al-Sabir, No. 63, the second year of the second series, Algeria.
- January 31, 1949, Al-Basa'ir: No. 65, the second year of the second series, Algeria.
- July 4, 1949, Al-Basa'ir, issue 85, the second year of the second series, Algeria.
- September 18, 1950, Al-Basa'ir, p. 131, third year of the second series. Algeria.
- October 15, 1951, Al-Basa'ir, No. 172-173, fourth year, from the second series. Algeria.
- January 14, 1952, Al-Basa'ir, No. 180, fourth year of the second series. Algeria.
- August 1934, Al-Shihab Magazine, Part 7, Volume 10, Algeria.